

## أثر مؤدبي قرطبة في ظهور علم الشروط من الفتح حتى سقوط قرطبة

(٩٢-٦٣٣هـ/٧١١-١٢٣٦م)

الباحثة/ شوهنדה محمد حامد محمد الخليل

## المخلص:

اهتمت الشريعة الإسلامية بكتابة العقود والعهود حفظاً للحقوق، وقد بدأ التفكير في تطبيق هذا العلم مبكراً؛ لحاجة الناس إليه، لكنه استخدم قديماً بدون أسس وقواعد ثابتة تجعله علم قائم بذاته، ومع تطور وازدهار قرطبة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً نتج تشعب المعاملات بين أهل قرطبة؛ فكان لا بد من تنظيم هذه المعاملات عن طريق توثيق الحقوق، ومع تطور الحركة الثقافية وظهور عدد كبير من المؤدبين في مختلف المجالات سعوا إلى وضع قواعد لهذا العلم وتعليمه إلى الطلاب.

ولمّا كان للمؤدبين من دور مهم في إظهار هذا العلم في قرطبة؛ تحاول الباحثة في هذا البحث إبراز هذا الدور من خلال التعرف على ماهية هذا العلم، وأصله، ونشأته، والتعرف على من قاموا بتدريسه، وأهم مصنفااتهم.

## Abstract :

Islamic law was concerned with writing contracts and covenants in order to preserve rights, and thinking about the application of this matter began early for the need of people to it, but it was used in the past without fixed foundations and rules that make it a stand-alone science, and with the development and prosperity of Cordoba economically, socially and culturally produced the transactions between the people of Cordoba, so it was necessary Organizing these transactions by documenting these rights, and with the development of the cultural movement and the emergence of a large number of Preceptors in various fields, they sought to set rules for this science and teach it to students.

The Preceptors have an important role in showing this science in Cordoba, and the researcher in this research tries to highlight this role by identifying what this science is, its origin, its upbringing, and the identification of those who taught it and their most important works.

## مقدمة:

استمد علم الشروط من الفقه؛ فهو فرعٌ من فروعِهِ فيما يتعلّق بالمعاملات والتوثيق على وجه الخصوص، ومن حيث موافقة معانيه لأحكام الشرع، كما يُستمد من علم الأدب والإنشاء بإنشاء الكلمات وتحسين ألفاظه وكذلك من العرف والعادة، ولهذا العلم عدة أسماء، وهي: علم الشروط، علم الوثائق، علم التوثيق، وعلم الكتابة<sup>١</sup>، وجميعهم علم واحد.

## أولاً: الشروط لغةً واصطلاحاً

• **الشروط لغةً:** مفرد (شرط)، وهو العلامة، وما يوضع ليُنترَم في بيع، وفي (الفقه) ما لا يتم الشيء إلا به<sup>٢</sup>.

• **علم الشروط اصطلاحاً:** هو علم يبحث في كيفية سَوِّق الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات في الرقاع والدفاتر؛ ليُحتج بها عند الحاجة إليها، بالإضافة إلى البحث عن كيفية ثبت الأحكام الثابتة عند القاضي، كالكتب والسجلات، على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال<sup>٣</sup>.

## - سبب تسمية علم الشروط بهذا الاسم:

يعود إطلاقه الأول إلى عصر النبي ﷺ، حين استعمل -عليه الصلاة والسلام- كلمة الشروط في صلح الحديبية، حين قال لعلي بن أبي طالب ﷺ: "اكتب الشروط بيننا فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم...<sup>٤</sup>، أي التوثيق هو مصطلح إسلامي محض.

وقد وردت مشتقات كلمة التوثيق في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَفُضُّونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي

١ عقيل محمد سعيد أحمد، عاقدو الوثائق والشروط الأندلسيون في عصري الإمارة والخلافة (١٣٨-١٤٢٢هـ / ٧٥٦-١٠٣١م)، حولية آداب الكوفة، مج ١٢، ع ٤٦٤، جامعة الكوفة-كلية الآداب، ٢٠٢٠، ص ٦١.

٢ ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٣م)، الصلة، تحقيق: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٩م، ١٤/١، محمد خضر محمد خضر، علم الشروط عند المسلمين (وصلته بعلم الشروط العربية)، مجلة الدارة، ع ٤٤، ذو الحجة ١٣٩٥هـ، ديسمبر ١٩٧٥م، السنة الأولى، ص ١٥٤، محمد إبراهيم أحمد علي، اصطلاح المذهب عند المالكية، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ع ٢٢٤ (١٤١٥هـ)، ص ٦٠، عبد السلام همال، علم الوثائق بالأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، رسالة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ص ٧٤.

-Emile Tyan, Histoire De L'organization Judiciaire En Pays D'islam (٢٥), Leiden, E.J. Brill, ١٩٦٠.

-Pedro Cano Avila, El Notario Musulmano Andalusi Actas Del II Coloquio Hispano-Marroquí De Ciencias Historicas 'Historia, cCiencia Y Sociedad' Granada, ٦-١٠ Noviembre De ١٩٨٩, Agencia Espanola De Cooperacion Intrenational Instituto De Cooperacion Con El Mundo Arabe Madrid, ١٩٩٢, P٩٣.

-W.Hoenerbach, El Notariado Islamico Y El Cristiano Estudio Comparative, Cuadernos De Historia Del Islam , II , Publicaciones Del Departamento De Historia Del Islam Universidad De Granada , ١٩٨٤, P, ١١٨.

٣ معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤، ص ٤٧٩.

٤ طائس كبرى زاده، مفتاح السعادة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٥، ١/ ٢٤٩-٢٥٧.

٥ محمد جميل بن مبارك، التوثيق والإثبات بالكتابة في الفقه الإسلامي، والقانون الوضعي، ط ١، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ص ١٢.

الرَّضِ أَوْلَيْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ<sup>١</sup>، وفي السنة النبوية: عن عبد الله بن كعب قال: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ □ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، بِطَوْلِهِ. قَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ فِي حَدِيثِهِ: وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ النَّبِيِّ □ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاتَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٌ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا<sup>٢</sup>.

### ثانياً: نشأة علم الشروط:

كان لعلم الشروط وضع خاص في قرطبة، وبما أن هذا العلم فرع من فروع علم الفقه؛ فقد اهتم الأندلسيون به اهتماماً كبيراً وألّفوا فيه مصنفات كثيرة، حفظت بعضها وضاع معظمها، وقد ظهر في قرطبة وبدأ العمل به منذ عصر عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م)<sup>٣</sup>، ومما يدل على ذلك أنه "قرأ على القاضي أحمد بن زياد<sup>٤</sup> صك فيه ذكر مال وقفه عبد الرحمن بن طريف لأم العباس، وأم الأصبغ، أختي الأمير عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م)، وكان مكتوب به: "إذ كان المتوفى مولاهما، وجب لهما ميراثه وهما غائبتان بالشام"<sup>٥</sup>، وهذا النص في فترة حكم الداخل، وكذلك وردت وثيقة لصداق<sup>٦</sup> يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٤هـ/٨٤٩م)<sup>٧</sup> في كتاب الوثائق المختصرة<sup>٨</sup>، وهي مؤرخة سنة ٢١١هـ/٨٢٧م أي خلال عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م)، ويوجد عقد آخر وهو عقد عتق جد الفقيه القرطبي الشهير محمد بن وضاح (ت ٢٨٧هـ/٩٠٠م)<sup>٩</sup>، وهذه النصوص تؤكد تداول القرطبيين العقود، وتعاملهم بها.

١ سورة البقرة، آية ٢٧.

٢ (صحيح)، الراوي: كعب بن مالك، رقم الحديث (٢٨٨٩)، باب: وفود الأنصار إلى النبي □، كتاب مناقب الأنصار. البخاري: محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير ناصر، ط١، دار طوق النجاة، لبنان، المجلد الثالث، ٥٥.

٣ عبد السلام همال، علم الوثائق بالأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، رسالة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ص ١٠٦.

٤ ابن زياد: أحمد بن محمد بن زياد قاضي الجماعة بقرطبة في عهد الأمير الأموي عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) الذي تولى القضاء سنة (٢٩١هـ/٩٠٤م)، وكان هذا القاضي أول من فرض على المشاورين تدوين فتاويهم بأنفسهم وتقديمها إليه مكتوبة، وهذه الأحكام جمع القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل بعضها في كتابه ديوان الأحكام. (الخشنى: محمد بن حارث (ت ٣٦١هـ/٩٧١م)، قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الإيباري، ط١، بيروت ٩٨٢م، ص ٢٠٦، ابن سهل: أبو الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي، وثائق في الطب الإسلامي مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، دراسة وتحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، ط١، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، ١٩٨٢، ١٠٠/١.

٥ الخشنى، السابق، ص ٦٤، عبد السلام همال، السابق، ص ١٣١.

٦ الصداق: هو مهر الزوجة، قال تعالى: ﴿وَأُولُوا النِّسَاءِ صَدَقَاتِهِنَّ﴾ [النساء: آية ٤] (الرجحاني: علي بن محمد الشريف الجرجاني الحسيني الحنفي (ت ٨١٦هـ/١٤١٤م)، كتاب التعريفات، ط١، تحقيق وزيادة: محمد المرعشلي، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٣م، ص ٢٠٧).

٧ يحيى بن يحيى (ت ٢٣٤هـ/٨٤٩م): هو يحيى بن يحيى أبو عيسى كثير بن وسلاس الليثي، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، أصله من البربر من قبيلة مضمودة، رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة، فسمع الموطأ من الإمام مالك بن أنس في المدينة، وأخذ عن سفيان بن عيينة بمكة، وللثبث بن سعد بمصر، وعاد إلى الأندلس بعلم كثير، فشر فيها مذهب مالك، وكان مكين عند الحكام، فكان لا يولى قاض إلا بمشورته واختياره، ولا يثبتر إلا من كان على مذهب مالك. أما هو فقد رفض ولاية القضاء فارتفع قدره بسبب ذلك، وكان شيخه مالك يسميه عاقل الأندلس. (ابن قنفذ القسنطيني: أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب (ت ٨١٠هـ/١٤٠٨م)، الوفيات، تحقيق وتعليق: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، ط٤، بيروت ١٩٨٣م، ص ١٧٢، خيسر الدين الزركلي، الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٨٠م، ١٧٦/٨).

٨ القرناطي: إبراهيم بن عبد الرحمن، الوثائق المختصرة، إعداد: مصطفى ناجي، ط١، الرباط، ١٩٨٨م، ص ١-١٢.

٩ الخشنى: محمد بن حارث (ت ٣٦١هـ/٩٧١م)، أخبار الفقهاء والمحدثين، دراسة وتحقيق: ماريا لويسا أيبلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية-معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩١م، ص ١٢٢-١٣٢، ابن قنفذ، السابق، ص ١٩٢.

وقد دخل هذا العلم إلى قرطبة عند طريق ترحال الطلاب الأندلسيين إلى المشرق وأخذهم من علمائها، مثل المؤدّب ابن عبد الحكم المصري (ت ٢٦٨هـ/٨٨٢م)<sup>١</sup> الذي رحل إليه الطلاب وأخذوا العلوم منه، فقد قيل عنه: "وإليه كانت الرحلة من المغرب والأندلس في العلم والفتنة"<sup>٢</sup>، وهو من علماء هذا العلم، كان يستند إلى المذهب المالكي وهو مذهب أهل الأندلس، وعلم الوثائق كان مادة دراسية يدرسها طلبة العلم مع غيرها من المواد الأخرى، ضمن برامج التعليم في ذلك الزمن، وهذا ما يمكن أن نقف عليه من خلال الفقرة التالية: يقول الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن أبي دليم (ت ٣٧٢هـ/١٠٢٣م)<sup>٣</sup>: "لا يسمى طالب العلم فقيهاً حتى يكتهل ويكمل سنه ويقوى نظره، ويبرع في حفظ الرأي، ورواية الحديث، ويتميز فيه ويعرف طبقات رجاله ويحكم عقد الوثائق ويعرف عليها"<sup>٤</sup>، كذلك ذكر ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ/١٠٨٣م)<sup>٥</sup> أحد الذين تعلم عقد الشروط على أيديهم، وهو محمد بن عبد الرحمن بن نبيل الرعيني (ت ٥١٨هـ/١١٢٤م)<sup>٦</sup>، وهو قرطبي كانت عنده رواية ومعرفة ونباهة ودراية وتقدم في معرفة الشروط وإتقانها، وكان يجلس لعقدها وقد أخذنا عنه<sup>٧</sup>، ومحمد بن خلف بن محمد بن يونس، تعلم عقد الشروط بين يدي أبي الأصبغ عيسى ابن موسى المنزلي (ت ٥٥٧هـ/١١٦١م)<sup>٨</sup>.

### ثالثاً: مصنفات علم الشروط

نبيغ مؤدبو قرطبة في تأليف كتب الوثائق، وتعد هذه المؤلفات محصلة لكتابة العقود، وقد انطلقت حركة التأليف في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي،

١ ابن عبد الحكم المصري (ت ٢٦٨هـ): محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث، الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله المصري الفقيه، ولد سنة ثنتين وثمانين ومائة، وسمع من: عبد الله وهب بغاية إيمه به، ومن أبي ضمرة الليثي وابن أبي فيك وأيوب بن سويد، له تصانيف كثيرة منها: كتاب في الرد على الشافعي، وكتاب أحكام القرآن، وكتاب الرد على فقهاء المراق. (الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٥٤٨هـ/١١٣٤م)، سير أعلام النبلاء، حقق هذا الجزء: بشار عواد معروف - محيي هلال السرحان عواد، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م، ١٠/١٣٦)

٢ القاضي عياض: أبو الفضل موسى بن عياض الجبصي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م). ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: سعيد أحمد أصراب، ط ١، فضالة المحمدية، المغرب، ١٥٨/٤، ابن فرحون: برهان الدين إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، البياح المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٦م، ص ٣٣١.

٣ محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي نعيم: من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، سمع من: أسلم بن عبد العزيز، وابن أبي تمام، وأحمد بن خالد، ومحمد بن مسور، وعثمان بن عبد الرحمن، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن، وعبد الله بن يونس، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن محمد الخشني، كان ضابطاً لكتبه، متفنناً بروايته، ثقة، مأموناً، وكان كثير الصلاة، والصيام، عابداً متهجداً، توفي ليلة الجمعة في شهر رمضان سنة الثنتين وسبعين وثلاث مائة. (ابن الفرغاني: أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف الأزدي (ت ٥٠٣هـ/١٠١٢م)، تاريخ علماء الأندلس، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨م، ٨٥/٢).

٤ القاضي عياض، السابق، ٤٤١/٤.

٥ ابن بشكوال، الصلّة، مج ١، ١١٥/٢.

٦ محمد بن عبد الرحمن بن نبيل الرعيني (ت ٥١٨هـ/١١٢٤م): من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، روى عن أبي القاسم حاتم بن محمد، وأبي الأصبغ بن خيرة، ومحمد بن فرج، وكانت عنده رواية، ومعرفة، ونباهة، وتقدم في معرفة الشروط وإتقانها، وكان يجلس لعقدها. (ابن بشكوال، السابق، ٨٣٧/٣).

٧ ابن بشكوال، السابق، ص ٤٤٩.

٨ المراكشي: أبو عبد الله محمد بن عبد الملك (ت ٥٧٠هـ/١١٣٠م)، الذيل والتكملة لكتابتين الموصول والصلّة، حققه وعلق عليه: إحسان عباس - محمد بن شريفة - بشار عواد معروف، ط ١، دار الغرب الإسلامي، تونس ٢٠١٢م، ص ١٩١.

وممن ألفوا كتباً في هذا القرن؛ الفقيه عبد الملك بن زونان، أو زونان عبد الملك بن الحسن (ت ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م)<sup>١</sup> الذي ألف كتاباً في علم الشروط، يسمى "كتاب الوثائق"، وهو من بين المصادر التي استعملها ابن أبي زمنين في كتابه المنتخب<sup>٢</sup> (مفقود)، وكتاب يحيى بن يحيى (ت ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م)<sup>٣</sup>، ويعد أحمد بن مغيث الطليطلي الوحيد الذي ذكر أنه استعمل كتاب ألفه يحيى في علم الشروط ضمن المصادر التي استعان بها في كتاب المقنع في علم الشروط<sup>٤</sup>، لكنه لم يذكر اسم هذا الكتاب، ومن مؤلفي هذا القرن الفقيه أصبغ بن خليل (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٧م)، ومما يدل على أن له كتاباً في هذا المجال؛ ما ذكر على لسان أحد الأندلسيين الذي كان بمصر حينما سأله أحد الأشخاص: "أصبغ بن خليل عالم بلدكم في هذا العصر، فقلت له: نعم فيم علمت ذلك؟ قال: بكتاب طرأ له علينا في الوثائق وذكر عليها لم أرَ لطاعن فيها مطعناً، فرأيتَه كصفائح الرخام معقودة بالرصاص"<sup>٥</sup>، وإبراهيم بن قاسم بن هلال (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٦م)، والوحيد الذي ذكر أنه ألف في علم الوثائق هو ابن مغيث الذي استخدم وثائق إبراهيم ضمن مصادر المقنع<sup>٦</sup>، أما من مؤلفي علم الوثائق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي الوند (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)<sup>٧</sup> وقد درَسَ كتابه المعروف بكتاب "الشروط" لأبي موسى بن سعيد، وحدث بالكتاب نفسه القاضي أبو عمر بن سميح القرطبي<sup>٨</sup>.

ومن مؤلفات العصر التي أُلفت لغرض تعليمي؛ كتاب "الوثائق والسجلات" لابن العطار (ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)<sup>٩</sup> الموثق القرطبي، الذي طالب منه قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن زكريا المعروف بابن برطال (ت ٣٩٤هـ/ ١٠٠٨م) كتابة كتاب لحفيده؛ لتعليمه المسائل، وقد استجاب ابن العطار لطلبه، وألّف هذا الكتاب لحفيده (مطبوع)، وكان ابن العطار (ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) يقوم بتدريس كتابه في المسجد الجامع بالزاهرة في عهد محمد بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ/ ٩٧٦-١٠٠١م)، ويبدو أن هذا كتاب ظل في

١ الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص ٢٤٤-٢٤٥.

٢ محمد عبد الوهاب خلاف، الفقيه ابن أبي زمنين، ومخطوطة منتخب الأحكام، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٣٠، ج ١، جمادى الأولى - شوال ١٤٠٦هـ، يناير ١٩٨٦م، ص ٢٢٩.

٣ المراكشي، الذيل والتكملة، السفر، ٦/ ٥١١.

٤ الطليطلي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن مغيث (ت ٥٩٩هـ/ ١٠٦٧م)، المقنع في علم الشروط، تقديم وتحقيق: فرانثيسكو خابيير، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ١٩٩٤م، ص ٧.

٥ الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص ٣٤.

٦ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ١/ ٤٣.

٧ الوند (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م): أحمد بن موسى بن أحمد بن سعيد الجعفي، من أهل قرطبة، يكنى أبا عمر، حدث عن أبيه موسى بن أحمد الفقيه بكتاب الشروط من تأليفه، وكان أحمد بن موسى هذا في عداد المفتين بقرطبة، قدمه له المعتمد بالله هشام بن محمد (ابن بشكوال، الصلة، ١/ ٧٩).

٨ ابن بشكوال، السابق، ١/ ٧٩.

٩ ابن العطار (ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م): هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الأموي المعروف بابن العطار القرطبي، كان عالماً بالفقه والنحو والشعر والرياضيات، من أشهره: «الوثائق المجموع»، توفي سنة (٣٩٩هـ). (ابن فرحون، الديباج، ص ٢٦٩، ابن مخلوف: محمد بن أحمد بن عمر قاسم (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبيد المجيد خيالي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٤م، ١/ ١٠١).

برامج التعليم لعقود طويلة؛ فعند حديث القاضي ابن العربي (ت ٥٤٣هـ / ١١٤٩م) عن مواد التعليم في عصره، ذكر أن الكتاب المذكور كان ما يزال يدرس في عصره<sup>١</sup>، وابن الهندي (ت ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م) الذي أخذ عنه أبو المطرف كتابه في الوثائق<sup>٢</sup>، قال القاضي عياض: وله فيها كتاب مفيد جامع<sup>٣</sup>، وفرج بن سلمة بن زهير البلوي أبو سعيد (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٧م) له في تأليف في الوثائق، وكتاب الوثائق لقاضي الجماعة بقرطبة محمد بن يقي بن زرب (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م)<sup>٤</sup>.

وعقب انهيار الخلافة الأموية بقرطبة سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م عصر ملوك الطوائف (٤٢٢ - ٤٨٤هـ / ١٠٣١م - ١٠٩٦م)، ورغم عدم الاستقرار السياسي وتقسيم البلاد؛ استطاعت الحياة الثقافية المحافظة على ازدهارها، ثم أصبحت قرطبة تحت سيطرة دولة المرابطين لكنها لم تمتد أكثر من نصف قرن<sup>٥</sup>، واحتفظت بكثير مما كان لها أيام عصر ملوك الطوائف<sup>٦</sup>، ومن أبرز مؤلفي كتب الشروط في هذا القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، أبو عمر أحمد ابن محمد بن عفيف قرطبي (ت ٤١٠هـ / ١٠١٩م) الذي كان من علماء علم الشروط<sup>٧</sup>، وقد ولاه الخليفة محمد الثاني ابن هشام بن عبد الجبار المهدي (تولى سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م)<sup>٨</sup> خطة الشرطة والوثائق<sup>٩</sup>، وألف في الشروط كتاباً<sup>١٠</sup>، وله وثيقة في الخلع<sup>١١</sup>، والقاضي ابن الصفار أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث قرطبي (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م)، وله كتاب المراقب والمحاضر في علم الشروط<sup>١٢</sup>،

١ القاضي ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، آراء أبي بكر الكلامية، (العواصم من القواصم)، نشر: عمار طالبي، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د.ت)، ٤٩٢/٢، خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، ترجمة: جمال محمد مرزوق، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٩، مج ٥، ١٤٣/١، محمد الأمين بلغيت، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، ط ١، القاظة، الجزائر، ٢٠١٤، ١/ ١٨٤.

٢ عبد الرحمن بن السليم: من أهل قرطبة، يكنى أبا المطرف، روى عن أبي عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمداني المعروف بابن الهندي الفقيه وصحبه وأخذ عنه كتابه في الوثائق، وحدث به عنه أبا الربيع سليمان بن خليفة المالقي والد القاضي أبي عبد الله محمد بن سليمان. (ابن بشكوال، الصلة، ٨/٣).

٣ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٦٤٩/٤.

٤ ابن زرب (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م): أبو بكر محمد بن يقي بن زرب: قاضي الجماعة الشهير بقرطبة، أبو بكر، محمد بن يقي بن زرب ابن يزيد القرطبي الفقيه، العلامة، شيخ المالكية، سماع من: قاسم بن أصبغ، ومحمد بن عبد الله بن أبي دليم، وله مؤلف في الرد على ابن مسرة، وعدة تصانيف. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤١١/١٦).

٥ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط ٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧م، ص ٤٣٨.

٦ السابق، ص ٤٣٩.

٧ أحمد بن عفيف القرطبي (ت ٥٤١٠هـ): من أهل قرطبة، سماع من ابن سليم وابن زرب وابن مرطال والزبيدي وابن القوطية وغيرهم، وبرع في الفقه والوثائق، ولم يكن في عصره أعلم منه بها، حدث عنه الدلائي وغيره وكان يعظ الناس في مجلسه، كان عالماً بالخبر والشعر، وله تأليف في علم الشروط حسن مفيد، ولقد كتب المعلمين، وكتاب الاختلاف في علماء الأندلس، وله كتاب سماه بكتاب الجنائز، وله شعر حسن، تولى قضاء لورقة فحمدت سيرته بها، توفي سنة عشر وأربعمائة. (الذهبي: شمس الدين محمد ابن أحمد (ت ٥٤٨هـ / ١٢٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ٢٨ / ٤٧٧)

٨ عنان، السابق، ١ / ٦٣١.

٩ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٧٣٥/٤، ابن بشكوال، الصلة، ٤٧/١.

١٠ ابن فرحون، النباج، ص ١٠٠.

١١ الوثريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد الواحد (ت ٥١٤هـ / ١٠٥٩م)، المعيار المغرب، خرجه جماعة من الفقهاء تحت إشراف: محمد جحي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م، ٥٢٦/٦.

١٢ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٧٤١ - ٧٤٠/٤، ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٢٦، الحميدي: محمد بن فتوح بن عبد الله (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)، جنوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف - محمد بشار عواد، ط ١، دار الغرب الإسلامي، تونس ٢٠٠٨م، ص ٣٨٤، الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)، بغية المستمسق في تاريخ أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط ١، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت ١٩٨٩م، ص ٤٤٧، الزركلي، الأعلام، ٨ / ٢٦٢.

والفقيه المالكي محمد بن عتاب بن محسن (ت ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م)، وقد قرأ أربعين كتابًا في علم الوثائق قبل أن يكتب في هذا العلم<sup>١</sup>.

١ محمد بن عتاب بن محسن (ت ٤٦٢ هـ): من أهل قرطبة، مولى عبد الملك بن سليمان بن أبي عتاب الجذامي، يكنى أبا عبد الله، وكان كبير المفتين بقرطبة، روى عن أبي بكر عبد الرحمن بن أحمد التجيبي، وأبو القاسم خلف بن يحيى، وكان فقيهاً عالماً، ورعاً عاقلاً، بصيراً بالحديث وطرفه، وعالماً بالوثائق وعلتها، مدققاً لمعانيها، لا يجارى فيها، كتبها مدة حياته فلم يأخذ عليها من أحد أجراً، متقناً في فنون العلم، حافظاً للأخبار والأمثال والأشعار، كان شيخ أهل الشورى في زمانه، وعليه كان مدار الفتوى في وقته، دعا إلى قضاء قرطبة مراراً فأبى ذلك. (ابن بشكوال، الصلة، ٣/ ٧٩٨-٨٠٠).

## الخاتمة:

- ١- يعد علم الشروط فرعاً من فروع الفقه فيما يتعلق بالمعاملات والتوثيق، ووفي توافقه للأحكام الشرع، واستمد من الأدب إنشاء الكلمات وتحسين ألفاظه.
- ٢- ظهر في قرطبة وبدأ العمل به منذ عصر عبد الرحمن الداخل (١٣٨-٥٧١٢هـ/ ٧٥٢-٧٨٨م)، وذلك عن طريق ترحال الطلاب الأندلسيين إلى المشرق وأخذهم من علمائها.
- ٣- علم الوثائق كان مادة دراسية يدرسها طلبة العلم مع غيرها من العلوم الأخرى ضمن برامج التعليم.
- ٤- انطلقت حركة تأليف كتب الوثائق بقرطبة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وممن نبغ في تأليف هذه المصنفات: زونان عبد الملك بن الحسن (ت ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م)، وله كتاب يسمى "كتاب الوثائق"، وأصبع بن خليل (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٧م)، ومن مؤلفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أحمد بن موسى المعروف بالوتد (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م).
- ٥- كان هناك مؤلفات كتبت لغرض تعليمي؛ مثل: كتاب الوثائق والسجلات لابن العطار (ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)، وكان يقوم بتدريسه في المسجد الجامع بالزاهرة.
- ٦- من أبرز مؤلفي كتب الشروط في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي أحمد بن محمد بن عفيف (ت ٤١٠هـ/ ١٠١٩م)، والقاضي يونس بن عبد الله بن معيث (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م) وله كتاب المراقب والمحاضر في علم الشروط، والفقيه محمد بن عتاب (ت ٦٤٢هـ/ ١٠٧٠م) الذي قرأ أربعين كتاباً قبل أن يكتب في هذا العلم.

## ثبت المصادر والمراجع:

## المصادر:

- ١ ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٣م)، الصلّة، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٩م.
- ٢ ابن سهل، أبو الأصبع عيسى بن عبد الله الأسدي (ت ٤٨٦هـ / ١٠٧٦م)، ديوان الأحكام الكبرى، تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- ٣ ابن عذاري المراكشي: أبو عبد الله محمد (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م)، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف - محمود بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس: ٢٠١٣م
- ٤ ابن فرحون: برهان الدين إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٦م.
- ٥ ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، تاريخ علماء الأندلس، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨م.
- ٦ ابن قنفذ القسنطيني: أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب (ت ٤٠٨هـ / ١٠١٠م)، الوفيات، تحقيق وتعليق، عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط٤، بيروت ١٩٨٣م.
- ٧ ابن مخلوف: محمد بن محمد بن عمر قاسم (ت ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.
- ٨ البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، الجامع الصحيح، عناية: محمد زهير بن ناصر، ط١، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان ١٣١٢هـ.
- ٩ الجرجاني: علي بن محمد الشريف الجرجاني الحسيني الحنفي (ت ٨١٦هـ / ١٤١٤م)، كتاب التعريفات، ط١، تحقيق وزيادة: محمد المرعشلي، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٣م.
- ١٠ الحميدي: محمد بن فتوح بن عبد الله (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف - محمد بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس ٢٠٠٨م، ص ٣٨٤.

- ١١ **الخشني:** محمد بن حارث (ت ٣٦١هـ / ٩٧١م)،  
أخبار الفقهاء والمحدثين، دراسة وتحقيق: ماريا لويسا أبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية - معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد ١٩٩١م  
**أصول الفتيا في الفقه،** تحقيق: الشيخ محمد المجذوب وآخرون، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥م.
- قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط١، بيروت، ١٩٨٢م.
- ١٢ **الذهبي:** شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٥٧٤٨/١٣٤٨م)،  
**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،** تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- سير أعلام النبلاء،** حقق هذا الجزء: بشار عواد معروف - محيي هلال السرحان عواد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م
- ١٣ **الضبي:** أحمد بن يحيى بن أحمد (ت ٥٩٩/١٢٠٢م)، **بغية الملتبس في تاريخ أهل الأندلس،** تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط١، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ١٩٨٩م.
- ١٤ **طاش كبرى زاده:** أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨/١٤٠٦م)، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة،** ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٥م.
- ١٥ **الطليطلي:** أبو جعفر أحمد بن محمد بن مغيث (ت ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م)، **الممتع في علم الشروط،** تقديم وتحقيق: فرانثيسكو خابيير، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ١٩٩٤م.
- ١٦ **الغرناطي:** إبراهيم بن عبد الرحمن (ت ٥٧٩/١١٨٣م)، **الوثائق المختصرة،** إعداد: مصطفى ناجي، ط١، الرباط، ١٩٨٨م.
- ١٧ **القاضي ابن العربي:** أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، آراء أبي بكر الكلامية، (العواصم من القواصم)، نشر: عمار طالبي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د. ت).
- ١٨ **القاضي عياض:** أبو الفضل موسى بن عياض اليحصبي (ت ٥٤٤ / ١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، ط١، فضالة المحمدية، المغرب.

- ١٩ المراكشي: أبو عبد الله محمد بن عبد الملك (ت ٥٧٠٣/١٣٠٣م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حققه وعلق عليه: إحسان عباس- محمد بن شريفة- بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢م.
- ٢٠ معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.
- ٢١ الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد الواحد (ت ٩١٤هـ/١٥٠٩م)، المعيار المغرب، خرج جماعة من الفقهاء تحت إشراف: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م.

#### المراجع:

١. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان ١٩٨٠م.
٢. محمد الأمين بليغ، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، ط١، القافلة، الجزائر، ٢٠١٤م.
٣. محمد عبد الوهاب خلاف، الفقيه المشاور محمد بن حارث الخشني، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٤. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧م.
٥. محمود علي مكي، تاريخ الأندلس السياسي (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-١٤٩٢م) الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط٢، تحقيق: سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م.

#### الرسائل الجامعية:

١. عبد السلام همال، علم الوثائق بالأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، رسالة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر.

#### الدوريات:

١. عقيل محمد سعيد أحمد، عاقدو الوثائق والشروط الأندلسيون في عصري الإمارة والخلافة (١٣٨-٥٤٢٢هـ/ ٧٥٦-١٠٣١م)، حولية آداب الكوفة، مج١٢، ع٤٦، جامعة الكوفة- كلية الآداب، ٢٠٢٠، ص٦١.
٢. محمد خضر محمد خضر، علم الشروط عند المسلمين (وصلته بعلم الشروط العربية)، مجلة الدارة، ع٤٤، ذو الحجة ١٣٩٥هـ، ديسمبر ١٩٧٥م، السنة الأولى، ص١٥٤.

٣. محمد عبد الوهاب خلاف، الفقيه ابن أبي زمنين، ومخطوطة منتخب الأحكام، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٣٠، ج ١، جمادى الأول - شوال ١٤٠٦هـ، يناير ١٩٨٦م.

## مراجع أجنبية مترجمة:

١. خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، ترجمة: جمال محمد محرز، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٩م

## مراجع أجنبية:

١. Emile Tyan, Histoire De L'organization Judiciaire En Pays D'islam (٢e), Leiden, E.J, Brill, ١٩٦٠, p ٣٧ -
٢. - Pedro Cano Avila, El Notario Musulmano Andalusi Actas Del II Coloquio Hispano-Marroqui De Ciencias Historicas "Historia ,cCiencia Y Sociedad " Granada, ٦-١٠ Noviembre De ١٩٨٩, Agencia Espanola De Cooperacion Intrenational Instituto De Cooperacion Con El Mundo Arabe Madrid , ١٩٩٢, P ٩٣.
٣. - W.Hoenerbach, El Notariado Islamico Y El Cristiano Estudio Comparative,Cuadernos De Historia Del Islam , II , Publicaciones Del Departamento De Historia Del Islam Universidad De Granada , ١٩٨٤,P, ١١٨.